محمد ﷺ
النبي الأمي

(الأمي) بالمعنى المتعارف عليه والمتبادر إلى الذهن الذي لا يعرف القراءة والكتابة، وتلك معجزة له ﷺ، فهو لم يقرأ كتابًا، ولا درس علمًا، ولا صحب معلمًا أو عالمًا، فأتى بما يبهر العقول ويذهل الفطن من إتقان ما أبان وإحكام ما أظهر، فلم يجد في قوله أو علمه أي زلل أو شطط.

ولقد حاول أصحاب الفكر المنحرف من المستشرقين، ومن سار على نهجهم من أهل الإلحاد والعلمانية وممن لا إيمان عندهم، أن يثبتوا بكل الطرق الملتوية بأنه ﷺ كان قارئًا ولا يكتب، وأن ما قاله كان نتاجًا للثقافات المعاصرة في زمانه، وهذا ما ينفيه القرآن: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾ (العنكبوت:٤٨).

وأيضًا ما قاله ﷺ لجبريل عليه السلام في أول نزول الوحي: «**ما أنا بقارئ**».

ويقول ابن عباس رضي الله عنهما: «كان نبيكم ﷺ أميًا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب» (رواه أحمد).

ولهذا فإن «الأمي» له قصد يتعلق بمعصومية الوحي، وأن ما جاء على لسانه ﷺ لم يختلط به شيء من أفكار الناس وتصوراتهم، ما عدا شئون الدنيا.

محمد النبي «الأمي» ﷺ لم يأخذ من ثقافة البشر، ولم تؤثر فيه ثقافة أهل الشرق والغرب، لأن الله سبحانه اصطفاه ليبلغ الدنيا آخر بلاغ إلى الخلق أجمعين، فجاء بالمنهج المكتمل لإصلاح مسيرة الإنسانية، إنه مبعوث لشيء

جديد لا صلة للبشر فيه، فإنه عطاء قادم من عند الله سبحانه يعلمه له شديد القوى جبريل عليه السلام.

ولم يعلم الله سبحانه أحدًا من خلقه سوى اثنين: آدم عليه السلام وقد علمه الأسماء كلها، وخاتم النبيين ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٣).

وتأتي كلمة «الأمي» - كما بينت المعاجم - بمعنى صفة نسب من كلمة «أمة» وكذلك من الجمع «أمم» أي بمعنى «أممي» أي المنسوب إلى كلمة «الأمم».

وقد روى الإمام أحمد في المسند أنه ﷺ قال: «**أنا محمد النبي الأمي - ثلاثًا - لا نبي بعدي**»، فقد ربط ﷺ بين أميته وكونه مبعوثًا لكل الأمم.

ولتأكيد هذا المعنى يقول ﷺ: «**نحن آخر الأمم وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية ونبيها؟ فنحن الآخرون الأولون**» (رواه ابن ماجه).

وفي الحديث ربط ﷺ بين وصف أمته بالأمية وكونها آخر الأمم.

وأما طلب العلم فلا يحتاج إلى دليل، وخاصة وأن النصوص المتواترة والمشهورة كثيرة في الكتاب والسنة.

أخذ الله سبحانه بالنبوة ميثاقه، وبالإسلام عهده، ونشرت التوراة والإنجيل ذكره، وبين كل نبي صفته بأنه «الأمي»، وعلمه قرآنه وهو الكلمة الباقية الصحيحة على وجه الأرض، ارتشف منه العلماء في الماضي ما شاءوا من العلوم، ومازالت عظمته في كل زمان إلى يوم القيامة، ومع أنه النبي «الأمي» إلا أنه سبحانه بعثه بدين جديد يقرر أن الصفة التي كرم سبحانه آدم عليه السلام هي «صفة العلم»، وليست كما يدعي من حرفوا دينهم بأن الشجرة التي أكل منها هي «شجرة المعرفة» وأنها الخطيئة الأولى . . !!

لقـــد ظل أهل الإلحـــاد لسنين طويلة يـرددون: من يصـــدق أن بلادًا صحراوية جافـة ليس فيها أنهار وإنما كثبان من الرمـال، ستصبح في يوم من الأيام حدائقًا وأنهارًا؟!

وأثبت علماء الجيولوجيا في أواخر القرن العشرين بكل ما لديهم من وسائل التقـدم العلمي المذهل وبعد الآلاف من الحفـريات، بأن الأرض أول ما بدأت بما يسمى «العـصر الجليدي» وكـان هذا من ملايين السنين، وأن هذا العصـر قد بدأ ثانية في أوائل القرن السابع عشر المـيلادي، وأنهم رسموا خريطة جديدة للأرض وفيها تعود جزيرة العرب كما كانت في هذا الماضي السحيق أنهارًا وزورعًا.

من الذي أخبر النبي «الأمي» ﷺ بهذا السر الذي اكتشفه العلم حديثًا؟

يقول ﷺ : «**لا تقوم السـاعة حتى تعود أرض العرب مـروجًا وأنهـارًا**» (أخرجه أحمد في المسند).

ولهـذا يسأل الفـيلسوف الأندلسي ابن رشـد: كيف اسـتطاع النبي «الأمي» ﷺ أن يصل إلى هذه الحكمة؟

ثم يصل ابن رشد إلى هذه الحقـيقة: «ويتأكد هذا المعنى بل يصـير إلى حد القطع واليـقين التام إذا علم أنه ﷺ كـان أميًا في أمـة أميـه عاميـة بدوية لم يمارسوا العلوم قط، ولا نسب إليهـم علم، ولا تداولوا الفحص عن الموجودات على ما جرت به عادة اليونانيين وغيـرهم من الأمم التي كملت الحكمة فيهم في الأحقاب الطويلة» (من كتاب «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة»).

ثم إن ابن رشد يناقش حديثًا صحيحًا وهو موقف الفقهاء من سؤر الكلب، وذلك لأن ليس من سبب النجـاسة للإناء بل من سبب الفـيروس الذي اكتشـفه العلم أخـيرًا ويسـبب الكثـير من الأمـراض وآخـرها كمـا يقـول أحد العلمـاء

(العمي)، وأثبت أنه لا قضاء على هذا السم القاتل إلا بالعدد الذي استخدم في الشرع في مواضع كثيرة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال عن النبي ﷺ: «**إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعًا**» (رواه البخاري في كتاب «الوضوء»).

ومع إن ابن رشد رجل دين فإنه لم يناقش الحديث من الناحية الفقهية، مكتفيًا بما اسهب الفقهاء في شرحه ومنه الدارقطني في (الموطآت)، والشافعي في (الأم)، والمالكية والحنفية وغيرهم.

ولهذا ركز ابن رشد على الناحية العلمية بوصفه طبيبًا بارعًا، وذكر أنه لما كان التراب جنسًا غير الماء جعل اجتماعهما هو الإعجاز في الحديث، ودليله على ذلك أن ابن دقيق تعقبه بقوله «وعفروه الثامنة بالتراب».

وننتقل إلى حديث آخر فيه الكثير من الإعجاز العلمي وخاصة «علم الوراثة» وهو من العلوم الحديثة نسبيًا، فقد روى الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن النطفة تكون في الرحم أربعين يومًا ثم تصير علقة مثل ذلك ثم تكون مضغة مثل ذلك، ثم عظامًا مثل ذلك، فإذا أراد الله أن يسوي خلقه بعث إليها ملكًا، فيقول الملك الذي يليه: أي رب أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ أقصير أم طويل؟ أناقص أم زائد؟ أصحيح أم سقيم؟ قال: فيكتب ذلك كله، ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص**»، قال رجل من القوم: ففيم العمل وقد فرغ من كل هذا؟ قال رسول الله ﷺ: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**».

والملاحظ في هذا الحديث أنه قسم الحقائق إلى غيبية وهي عمله ورزقه وأجله وأثره، وأخرى علمية وهي ما أكدها التطور السريع في علم الوراثة ويمكن تلافي الكثير منها باختيار من النساء أفضلهن، والكشف المبكر عن الإقبال على

الزواج وخاصة الأقارب لمعرفة الأمراض المتوارثة من عدمه، وهذا ما عناه النبي «الأمي» ﷺ بقوله: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»، أو بينه في حديث آخر عن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس**» (أخرجه الطبراني بإسناد حسن)[1].

وأما الحديث الصحيح والذي تحدث عنه جماعة من المستشرقين والذين تخصصوا في الأدب العربي، لم يعجبهم التشبيه في الحديث الشريف، واعتبروه تشبيهًا غير بليغ، وحجتهم أن المشبه به نادر وجوده في البيئة الصحراوية؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد**» (رواه البخاري في كتاب «الطب»).

بالفعل الأسد من الحيونات النادرة جدًا في جزيرة العرب، حيث أنه يكثر في الغابات الاستوائية، فلماذا اختار المعصوم ﷺ هذا التشبيه ولم يختر غيره مما يعرفه سكان الجزيرة العربية؟

جاء أحد علماء العرب في أوائل القرن الماضي واكتشف بعد العديد من التجارب وبالمناظير المتناهية في الدقة، أن لكل مرض ميكروب خاص به وله شكل يميزه عن غيره، فمنها ما يشبه العصى والدوائر والشكل الحلزوني وغيرها، وأما ميكروب «الجذام» فإنه يشبه الأسد تمامًا . . !!

ومع هذا فإن الرسول ﷺ كان يحمل الفرار من المجذوم على رعاية خاطره وحتى لا يتألم من مداومة النظر إليه، وأن هذا الفرار منه على الاستحباب والاحتياط.

---

(١) الحديث فيه ضعيف، راجع «السلسلة الضعيفة» للألباني.

ثم يأتي العلم بعد ذلك ويقرر حقيقة هامة وهي: ترك مخالطة المجذوم لا من العدوى فقط، ولكن للرائحة التي تنقل المرض، وهذا ما أكده النبي «الأمي» ﷺ: «**لا يورد ممرض على مصح**» (رواه البيهقي بإسناد حسن)، وهذا خشية انتقال المرض بوجه عام لمن أطال مجالسة المريض ومحادثته ومضاجعته وخاصة في الأمراض المعدية.

وأما الحديث الصحيح والذي أثار جدلاً واسعًا، وركز عليه المستشرقون للطعن في السنة النبوية الشريفة، فهو الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه، فإنه في إحدى جناحيه داء وفي الآخر دواء**» (رواه البخاري في صحيحه).

الحديث الشريف فيه مجاز وهو أمر لمقابلة الداء بالدواء، ومع أن العلم أثبت أن الجناح الأيمن به الشفاء والأيسر به الداء، إلا أن شراح الحديث قيدوه بعدم تناول الطعام مادام حاراً، وعليه فإنه مادام قد وقع التقييد حمل على العموم.

ولكثرة اعتراض بعض الجهلة لهذا الحديث بالذات، قام عدد من العلماء المسلمين أصحاب الهمة العالية والغيرة على دينهم بإجراء العديد من التجارب والتي أثبتت أن الغمس فعلاً يقضي على الجراثيم، أي أن هناك في الذباب داءً، وفيه أيضًا دواءً يقضي على الداء.

ولماذا هؤلاء الجهلة لا يذكرون غيره من الأحاديث ومنها: عدم التنفس في الإناء خشية نقل الأمراض المعدية، وقد رواه البخاري في (الأشربة)، وعدم الاغتسال في الماء الراكد والذي أثبت العلم أنه ينقل الأمراض المستوطنة، وقد رواه الترمذي في (الطهارة)، وعدم الخروج من أرض الطاعون وقد أثبت العلم أن بعض الأصحاء قد يكون لديه مناعة فلا تظهر عليه أعراض المرض ولكنه يكون حاملاً له وينقله لغيره، وقد رواه البخاري في (الطب).

يتركون كل هذه الأحاديث الشريفة بما فيها من إعجاز وأنه ﷺ مؤيد بوحي إلهي، ويركزون على حديث شريف متسائلين: كيف يجتمع الشفاء والداء في الجناحين، وكيف يعلم الذباب ذلك من نفسه ويقدم جناح الشفاء أولاً قبل الآخر؟

وقد أجاب ابن الجوزي عن ذلك: «ما نقل عن هذا القائل ليس بعجيب، فإن النحلة تعسل من أعلاها وتلقي السم من أسفلها ـ والحية القاتل سمها تدخل لحومها في الترياق الذي يعالج به السم» (من خواطر ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ).

لقد قابل رسول الله ﷺ حقيقة علمية ثابتة وهي مقابلة الداء بالدواء بأمور مجازية وهي: مقابلة الكبر بالتواضع، ومقابلة الشر بالخير.

ثم لماذا لا يجيب أهل الإلحاد والكفر والضلالة على هذا السؤال: كيف توصل النبي «الأمي» ﷺ إلى معرفة الحقائق الثابتة والتي لم يكتشفها الإنسان إلا بعد نزول القرآن بأكثر من ألف عام؟ إنه وحي السماء . . نزل به أمين السماء على الأمين في الأرض . . كروية الأرض، المشارق والمغارب في كل لحظة على بقعة من الأرض تختلف عن غيرها، انسلاخ النهار من الليل وهما موجودان معًا على سطح الأرض، أسرار تكون السحاب ونزول المطر، اختفاء ألوان الطيف السبعة الواحد تلو الآخر كلما تعمقنا في المحيطات حتى تصبح الظلمة الكاملة، تكون الحديد ليس على سطح الأرض ولكنه وافد غريب وفد إلى الأرض، مكة أم القرى هي مركز اليابسة في العالم، منطقة بيت المقدس أخفض منطقة في العالم، الكون كله يتكون من زوجين وحتى الجماد، الإنسان زائر متأخر جدًا لكوكب الأرض بعد أن سخر الله سبحانه له ما فيها، ضيق الصدر عند الصعود إلى طبقات الجو العليا، ضرب المثل بالبعوضة هذا المخلوق الضعيف العجيب

الصغير في حجمه والعظيم في خلقه لها مائة عين وثلاثة أجنحة مزودة بجهاز حراري وآخر للتخدير[١].

إن لم يكن عنده ﷺ العلم بمعناه الحديث، فإنه عنده أكثر من ذلك وهو الوحي الذي يأتيه من عند الله سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (النجم: ٤-٥).

أما قمة الإعجاز النبوي فهو هذا الحديث الذي يسمى «يوم الذر».

قال الإمام أحمد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلاً، قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ۝١٧٢ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾** (الأعراف: ١٧٢-١٧٣)» (مسند أحمد: ١/ ٢٧٢).

ولأهمية هذا الحديث المعجز شرحه الحاكم في (المستدرك)، والترمذي وابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن مردويه في تفاسيرهم.

إن ما حدث (يوم الميثاق العظيم) والذي أشهد الله سبحانه مجموع البشر من آدم عليه السلام إلى قيام الساعة على ربوبيته وبراهين وحدانيته.

ولكن كيف يجمع الله سبحانه كل هؤلاء البشر والذي لا يمكن إحصاء عددهم في مكان واحد وهو «عرفة» مع أن الأرض لا تسعهم كلهم؟

---

(١) هذه الحقائق العلمية الثابتة في السور الآتية بالترتيب: الزمر، الرحمن، يس، النور، الحديد، آل عمران، الروم، الذاريات، الإنسان، الأنعام، البقرة.

هذا هو السؤال الذي يحير أهل الكفر والضلال والعلمانية وكل من يسير في طريقهم الذي نهايته جهنم وبئس المصير.

جاء العلم في نهاية القرن الماضي ليثبت أن جميع الجنس البشري يجمعهم نظام واحد وهو «الشفرة الوراثية» التي جعلها الخالق سبحانه في كل خلية من خلايا جسم آدم عليه السلام، ونقلها إلى ذريته من بعده وإلى ذرية ذريته، إلى أن وصلتنا نحن الآن، وستظل تنتقل إلى يوم القيامة.

كيف توصل النبي «الأمي» صلى الله عليه وسلم إلى ما أشار إليه العلم عن النظام الوراثي الموحد، والذي داخله شفرة وراثية مميزة لكل نوع من الخلق، وبالنسبة للإنسان أول ما انطبع عليها «لا إله إلا الله»، وهو معنى الحديث المتفق عليه: **«كل مولود يولد على الفطرة»**، وذلك لأن كل إنسان فيه جزئ حي من عهد آدم، وهذا الجزئ أو الذرة المتناهية في الصغر ولذلك أطلق على هذا الحديث «يوم الذر»، لأن كل ذرة شهدت الخلق الأول وشهدت سجود الملائكة لآدم عليه السلام، وشهدت أخذ العهد على نبيه عليه السلام.

ليت المنحرفين عن العقيدة الصحيحة والسائرين على ضدها يتأملون هذا الحديث المعجز، فإن كانت لهم عقول تفكر وقلوب تتدبر وأعين تبصر، سيرون النور واضحًا جليًا مع الصوت الذي يأتيهم من داخل أعماقهم عذبًا جميلاً، هذا إن لم يطفئوا هذا النور بأفواههم ويصمون آذانهم عن: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

رضينا بالله سبحانه ربًا، وبالإسلام دينًا وشريعة ومنهاجًا، ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولاً، يقول سبحانه وتعالى يصف هؤلاء القوم الضالين: **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا**

نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف: ٧-٩).

ويقول سبحانه وتعالى يصف عباده المؤمنين: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣).

ويمدح سبحانه وتعالى أمة محمد ﷺ ويذم أكثر أهل الكتاب المكذبين لنبيه الخاتم ﷺ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ١١٠).

خاتمة الكتاب

في حكمة بليغة عجيبة نسبتها كل أمة من الأمم القديمة إلى نفسها، تقول هذه الحكمة: قل لي اسمك، أقول لك من أنت؟

ذلك أن الاسم له أهمية خاصة من حيث المعنى والمفهوم والدلالة، والقرآن أعطى اهتمامًا للاسم، بل وكان يتغير أحيانًا ليتناسب مع الحال والفائدة والنفع، فمثلاً نبي الله «يعقوب» عليه السلام عندما كان يخاطب القرآن أهل الكتاب لا يناديهم «يا بني يعقوب» بل يكون الخطاب «يا بني إسرائيل».

وبينما نجد أن ما جاء في الأسفار القديمة غير مقنع لما يقرره عن هذا التغيير: «كان قد صارع يعقوب حتى طلوع الفجر، وضرب حق فخذه، ومن ثم غير اسم يعقوب بما يناسب حالته، وأخيرًا لم يجبه على سؤاله، لكنه لم يفارقه إلا بعد أن باركه» (سفر التكوين/ ٣٢).

أما ما جاء في القرآن فهو أكثر اقناعًا فهو يذكرهم بالاسم الذي فيه «الله» تنبيهًا لهم بنعمته عليهم وتفضيلهم على الناس في زمانهم، كقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ٤٧).

وقد جاء في الأسفار القديمة: «إن العمل الوحيد الذي عمله آدم قبل السقوط هو أن دعا بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع الحيوانات البرية» (سفر التكوين/ ٢).

وهذا يتفق مع ما جاء في القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٣١).

وأما ما جاء في الأسفار القديمة بعد ذلك ما معناه: «أنه أوجد لآدم عملاً يعمله في الجنة ليملأ فراغه، كما أحاطه بأصدقاء من الحيوانات كان يدعوهم بأسماء لهم»، فهذا صحته بعيدة ويتعارض مع الثوابت الإيمانية في وصف الجنة كما جاء في الكتاب والسنة.

ولأن قصص الأنبياء - عليهم السلام - ذكرها القرآن للعظة والعبرة، فإنه لم يهتم في الغالب إلا بذكر اسم كل نبي، وذلك لما للاسم من دور كبير في خلق الشخصية وإعطائها وجودًا واضحًا، وذلك لأن للتسمية أبسط أشكال التشخيص، وكل تسمية نوع من أنواع البعث والإحياء وخلق الفرد، وكأن الاسم لكل نبي هو تلخيص لكل الأحداث في قصته، ولذلك لم يهتم القرآن بذكر أسماء الشخصيات الأخرى لأنه ليس سردًا تاريخيًا.

وأما أسماء النبي محمد ﷺ في القرآن، فيقول ابن القيم: «كلها نعوت ليست أعلامًا محضة لمجرد التعريف، بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال» (زاد المعاد في هدي خير العباد).

وأسماؤه ﷺ في القرآن نوعان:

احدهما - خاص به لا يشاركه فيه أحد من الرسل كمحمد والذي سمي به في التوراة، وأحمد وهو الاسم الذي سماه به عيسى عليه السلام، وخاتم النبيين، وبالمؤمنين رءوف رحيم، والأمي، والسراج المنير - ومعنى المنير الذي ينير بغير إحراق -.

والثاني - ما يشاركه في معناه غيره من الرسل وهو مختص بكماله فيها كرسول الله ونبيه وعبده والشاهد والبشير والنذير.

ومن إعجاز القرآن أنه جمع في آيتين ست أسماء له ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥-٤٦).

وقد خاطب القرآن في الآيتين ﷺ «يا أيها النبي»، أو «يا أيها الرسول»، وهذا في كل القرآن، بينما النداء لكل نبي باسمه، وهذا دلالة على أنه لا نبي ولا رسول بعده ﷺ إلى يوم القيامة.

وأيضًا اختص الله سبحانه كل نبي بصفة واحدة من اسم من أسمائه الحسنى فسمى نوحًا «الشكور»، ويوسف «الكريم»، وإبراهيم «الحليم»، وأيوب «الصبور»، وهكذا مع كل الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، وأما النبي الخاتم ﷺ فقد اختصه بصفتين وهما: «الرءوف» و«الرحيم»، كما أخبر القرآن: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

«محمد» هذا الاسم الكريم علم لنبينا ﷺ.

وقد جاء في الحديث: «**لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا العاقب**» (متفق عليه)، والعاقب أي لا نبي بعده إلى يوم القيامة.

«أحمد» وهو الاسم الذي ذكره عيسى عليه السلام، وقد تحدث عدد من العلماء عن سر هذا، ومنهم ابن كثير في (البداية والنهاية)، وابن القيم في (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام).

«الأمي» صفته ونعته في الكتب السابقة بأنه لا يقرأ ولا يكتب.

وأما قصص الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فإن القرآن لم يهتم في الغالب بذكر الأسماء لغيرهم سواء كانوا عاصين كابن نوح عليه السلام وهو «كنعان» والذي ظل الوالد الملهوف يبعث إليه النداء تلو النداء، والفتى المغرور يأبى إجابة الدعاء، وأيضًا لم يذكر اسم (واهلة) وهي الزوجة التي شاركت القوم سخريتهم، أو

شقي قوم ثمود وهو (قدار بن سالف)، وأيضًا لم يذكر القرآن اسم زوجة لوط عليه السلام وخيانتها له وهي ليست خيانة في الشرف والعرض ولكنها كانت تخبر القوم عن أضيافه، وهي (واعلة).

والقرآن أيضًا لم يذكر أسماء المطيعين كامرأة أيوب عليه السلام وهي (ليا)، أو امرأة فرعون وهي (آسية)، والتي بشرتها الملائكة بالجنة.

وذلك لأن القرآن ليس سردًا تاريخًا وإنما هو للعظة والعبرة، كما أخبر الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: ١١١).

وقد ذكر القرآن قصص الأنبياء لما فيها من تسلية للرسول ﷺ ليتأسى بها فيهون عليه ما يلقاه من الشدائد والمكاره، وتحذيرًا لكفار مكة أن يحل بهم ما حل بالسابقين، وبهذا تكون في قصصهم وهي أحسن القصص عبرة للخلق، وزجرًا لأهل الطغيان إلى يوم القيامة، كما أخبر تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ (يونس: ١٠٨).

وتأمل نهاية البلاغة وكمال الإعجاز وغاية الاختصار في آية واحدة جمعت قصص أشد الأمم فسادًا: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (التوبة: ٧٠).

أي أن سبب عذابهم الظلم بدرجاته الثلاث لغيرهم والأشد لأنفسهم وأعظمه وهو الشرك.

قوم نوح عليه السلام آذوا الله ونبيه والمؤمنين، فلم ينج منهم أحد وحتى الابن العاصي لم ينفعه كونه ابن نبي، لأن المرء لا ينفعه إلاعمله.

وقوم عاد ظلموا عباد الله بأن قطعوا السبيل على قوافلهم وأخذوا أموالهم وبضاعتهم وأزدادوا فسادًا في الأرض، وظلموا أنفسهم بأن تباهوا بقوتهم وجبروتهم وقلاعهم، ثم إنهم بعد كل هذا أشركوا بالله سبحانه وتعالى.

وقوم ثمود وكيف كانت عاقبة التسعة المفسدين في الأرض، وبيان أن الظلم مهما طالت أيامه فلابد له من نهاية.

وقوم إبراهيم عليه السلام ظلموا أنفسهم عندما لم يستمعوا لما بينه لهم نبيهم عليه السلام بأن الله وحده هو الذي خلق ما في الأرض والسموات وأنه لا معبود إلا سواه، وأنهم لو تأملوا آياته سبحانه وتعالى لعرفوا ربهم وآمنوا به.

وأصحاب مدين ظلموا الناس بنقص أشياءهم وسلب أموالهم، وظلموا أنفسهم عندما طلبوا من نبيهم عليه السلام أن يدعو الله ليسقط عليهم كسفًا من السماء، ولم يستمعوا إليه وهو يدعوهم إلى عبادة الله سبحانه وعدم الشرك به.

والمؤتفكات وكان الجزاء من نفس العمل فلما انقلبت فطرة قوم لوط عليه السلام، قلب الله سبحانه عليهم قريتهم وجعل عاليها سافلها.

روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله ليملي الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ رسول الله ﷺ:** ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود: ١٠٢)» (حديث متفق عليه).